

خاتمة البحث

سعيت في هذا الموضوع لمقاربة تمظهر الفضاء و الشخصية في روايات "إبراهيم سعدي" لارتباطه بحقل سيميائي قدم صورة إدراك الوعي الإنساني للحياة باللغة، وما توحيه العلامات في وعي المتلقي، وفي إطار مرجعية المجتمع الثقافي المنتمي إليه.

• يتجسد المعنى في صورة، ذات بعد فضائي، نتلقى الصور المتدفقة للأمكنة أو الراصدة للحوادث عند حركة الشخصية في حيز "زمكاني"، فالحركة لا تتم إلا في إطار زمني ومكاني، وعليه فالفضاء يكون مشغولاً بالزمان والمكان وطبيعة علاقة الشخصيات. فالزمن لا يدرك حسياً إلا مجسداً في مكان أو مرتبطاً به، ولا علامة على وجوده إلا في ما خزنته الذاكرة في صور مادية تنتج من تواصل الزمان بالمكان وترصد باللغة.

• كلما تحركت الشخصية في سياق السرد تحرك معها فضاء يرتبط بها كما ترتبط به. ويرتسم المشهد الفضائي بحركتها في الفضاء وبما تقوله عنه، فيصير كل متواجد في المكان وكل شيء يشغله هو المكان نفسه، وإبراهيم سعدي إختار من معجمه اللغوي بعناية ما يناسب رؤيته الفنية في التصوير والتعمير، فأما التصوير فاهتم بتسليط الضوء على أبعاد الصورة وأطرافها وخلفياتها - بما في ذلك الأمكنة التي احتوتها الذاكرة - وأما التعمير فيخضع لتجاذب التقاطب، المدينة القرية الشمال الجنوب، الماضي الحاضر. ومن هذا فإن الفضاء في المتخيل هو بالضرورة فضاء ترسمه اللغة. • تمثل المدينة قيمة أساسية كفضاء مفتوح يرصد كل أشكال الحياة والتواصل الاجتماعي وما أصابه من تغير بفعل التحولات. والمدينة في الروايات مدينة منطوية على نفسها، و الحياة فيها وفي ضاحياتها آلية تدور في حلقة شبه مفرغة يصير فيها الفضاء وتحركات الشخصية علامات تشع في المتخيل بدلالاتها ، انطلاق ورجوع، انشغالات تذكر وإخفاقات. تستفرد بها جميعاً فضاءات الأحياء والشوارع والأزقة

خاتمة البحث

والساحات والمقاهي والمنازل و الفنادق والغرف، فترصد أيضا الروائح والأصوات والأشكال والألوان لتخلق جوهر علاقات الحياة اليومية فيها.

• تعتمد الحكايات الأساسية على حكايات مضمنة، تملأ الفراغ الحكائي وتسلب الأضواء عليها كبديل يستقطب القراءة العمودية للفضاء، لأنها تركز على الظاهر كما تهتم بالخفي وباللحظة وبالمقطع .

أما الفضاء النصي فقد أزر الفضاء الروائي وتجلى ذلك فيما يلي :

• ترتبط العنوان بالنص الروائي، فأسس لقيم دلالاته التواصلية، وعبر عما وضع له. فغلبت على عناوين الروايات الدقة والوضوح والاختصار أحيانا.

• اهتمت الروايات بتشكيل الغلاف، فقدمت صورة معبرة عن المضمون، وعادة ما يتطلب هذا إعدادا من رسام مبدع ينفق موقفا أو حدثا متميزا معبرا فيحيل القارئ بدلالاته عن المضمون الحكائي، ومثل غلاف وعنوان كل رواية فضاء وشى بهويتها، وأشار لموضوعها العام، فتماهت فيه العلامة مع دلالاتها ومرجعياتها. ومع أن أغلفة الروايات الثلاثة الأخيرة: "فتاوى زمن الموت"، "بحثا عن آمال الغبريني"، "بوح الرجل القادم من الظلام" تصدرت أغلفتها لوحات فنية تشكيلية، إلا أن الكاتب لم يشكلها بيمينه، فما من شك بدوره في اختيارها، ولذلك فهي تحمل وظيفة توجيهية محرزة على القراءة وتعتبر نسا أول يحيل على المتن الروائي الذي هو مرجعيته .

• لم أجد للفصول الروائية عناوين، وهذا يجعل القارئ يندفع أكثر لمعرفة مضمونها بالإقبال على القراءة، وفي نهاية كل فصل يتوقف ليكمل عملية القراءة في فترة تالية.

• شاع التقطع في الروايات بين كل فصل، وفي بعض الفصول ليكشف عن فترات متقطعة في الكتابة فأوحت بأن كل فصل عمل مستقل يمكن انتزاعه من السياق ليكون قصة قصيرة، لكنه متى أدرج في سياقه فإنه يندمج في مسار فضائه الروائي من غير تعقيد.

خاتمة البحث

- اعتمدت الروايات أحيانا على نقل فضاء نص الرسائل، وعناوين وأخبار الجرائد لتعبر بصدق عن ارتباطها بالحياة ومن منظور معرفة المتلقي بالعالم لإضفاء طابع الصدق بمرجعيتها الواقعية.
- في وصف الفضاء امتزج الوصف بالسرد، وهذا لعدم خلوه من الزمن فانفصاله عنه قليل، فهو سرد موصوف، وليس وصفا مسرودا، كما تكرر المكان في كل مرة، ونجد في تكرار ذكره إضافات جديدة تتكون من عناصر بسيطة وجزئية كما أنه في مجمله لا يتقصى عناصر الصورة ويفصل أجزاءها فتتفرع الصورة، بل يلجأ إلى انتقاء عناصر دون غيرها مما لا يطيل مشهد الصورة فيعقده.
- قد يأتي الوصف طويلا من خلال المقاطع الوصفية بسبب الوقوف عند التفاصيل الدقيقة وتتبع جزئيات الصورة فتبدو حية متحركة حركة بطيئة أو سريعة .
- ساهم الوصف في إبراز الحدث في النص وظيفته تفسيريته، إنه إطار محيط مضيء للشخصية يكشف عن أحوالها فيكون منظورا إليها من خلاله ويكون الفضاء منظورا إليه من خلال الشخصية وبهذا يساير الدلالة العامة للرواية.
- الشخصية فاعلة في الروايات ويظهر ذلك في أدوارها عند تحركها في الفضاء وتفاعلها مع الشخصيات الأخرى، ويتأكد فعل الشخصية في البرامج السردية، فحينما تقوم بدورها تعترضها معوقات تكسر رغبتها، فتسعى لبرنامج سردي آخر هدفه تعديل المسار وتحقيق البرنامج السردى المرغوب، ويتجلى هذا في شبكة جديدة من تبادل الحوافز تتسجها الشخصية مع شخصيات أخرى مساعدة لتحقيق الرغبة المقموعة.
- البرامج السردية في جل الروايات - كما اتضح لي - مضطربة مهزوزة، وأهدافها غير واضحة المعاني لان الشخصية لا تملك وساعل تحقيقها.
- تتجسد أفعال الشخصية في مظهر يحدد ملامحها العامة والخاصة، فيعتمد على الوصف بما نتيجته حواس الراوي - بكل أوضاعه وأحواله - فتقدم الشخصية تبعا لأوضاعها وأحوالها أيضا، ويمثل المظهر الخارجي المرتكز الأساس في تصوير الشخصية، ويعتمد فيه على أحوالها النفسية؛ لذلك جاء التصوير

خاتمة البحث

متأوبا بين الخارج والداخل، ولقد أسهم الراوي العليم في تقديم الشخصية مع محاولات لتتويع وجهلت النظر في تصوير الشخصية.

• تتقدم الشخصية الروائية كشخصية حقيقية، والشخصيات في الروايات من كيان المجتمع تتحاور وتتصارع لأجل موقعها ومصحتها، ونجد في الروايات شخصيات أخرى أجهد الروائي نفسه أحيانا في تشكيلها، إلا أنها لا تؤدي دورا في بناء الحوادث، و في الروايات استطراد وذكر حوادث وشخصيات لا فائدة منها في البناء الروائي، واعتقد أنها كانت أصواتا اجتماعية تؤدي دورها في إبراز الوضع السائد، والكشف عن المظهر العام للفضاء الذي تجري فيه الحوادث.

• يتم تقديم صورة الشخصية بمكوناتها البصرية، ويكون هذا في العادة عند ظهور الشخصية أول مرة، لكن إبراهيم سعدي لا يعتمد على هذا في الغالب، ويلجا إلى رسم الشخصية في مظهر خلقي أو اجتماعي مدحا أو قدحا، وقد يكون الوصف تبعا للتغيرات التي تعترى الشخصية عند قيامها بالفعل أو تأثرها به .

• السارد حاضر في جل حوادث الروايات مع اختلاف في هيئة حضوره، بين راو عليم أو حاضر مشاهد أو حاضر مشارك؛ لذلك نجد السرد يميل في محمله إلى وصف المادي لما يدركه البصر ويسمي المدركات بأسمائها، وقد يتدخل السارد للتوضيح والتفسير ولربط الحوادث وتبرير سلوك الشخصية، وبذلك أسهم في فك التشفير كيلا يسود اللبس والغموض فيحد من شفافية الخطاب، وقوام الرؤية الرصد المتواصل للفضاء وحركة الشخصية فيه من البداية للنهاية .

• مال السرد إلى تتويع وجهة النظر في الروايات حتى يفلت من أحادية الرؤية، وبذلك أسند الرؤية إلى شخصيات أخرى وان كانت تصدر أخبارها عن الراوي، وهذا مكن من تحقيق توازن عبر السماح لشخصيات أخرى بالمشاركة في السرد وفي الرؤية من خلال ضمير المتكلم، وضمير الغائب وضمير جمع

خاتمة البحث

المتكلمين، وفي هذا التوظيف براعة وإتقان للعبة الحكى، بالإضافة لما فيه من تشويق وتأثير في المتلقي وإقامة علاقة معه بالبوح له بمكنون النفس من خلال ما يؤديه من وظيفة ندائية انتباهية وإفهامية، وبذلك خطابات أخرى كالخطاب الاجتماعي والتاريخي الذي يرصد نمط الحياة الاجتماعية في فترة معينة عاشها الناس في الجزائر.

- استغل في كل مرة تقنيات الفلاش باك، وتيار الوعي واستبطان الذات، وهو بذلك خلق في القصة حركة متأرجحة من التوتر وتدافع الحوادث لا تتوقف من بدايتها لنهايتها.
- رصدت الروايات التغيرات التي تصيب الشخصية اثر تعرضها لأحوال ما، ونجد أن الراوي يزاوج بين الوفين لتقاربهما فيصف الشخصية من الخارج، ثم يعبر إلى الداخل وقد يصفها من الداخل ليصور تأثير أحوالها النفسية وانفعالها على سلوكها ومظهرها، ولهذا نجد الوصف الداخلي يتماهى في الوصف الخارجي والخارجي يذوب في الوصف الداخلي، بسبب التوظيف المتناوب والسريع والمستمر لوصف أحوال الشخصية، وما تقوم به كما تضع الحدود أيضا بين الوصف السردي.
- إن إبراهيم سعدي في أعماله الروائية قد قدم صورة عن الفضاء، فهناك شعور ضيق حاد بفضاء المدينة في فضاء الغربة، وشوق لفضاء الوطن، وشعور نافر من فضاء مدينة الجنوب حيث أرغمت الشخصية على الحلول به .
- في الفضاء وعي جريح بهذا التناقض وقبول مبطن بالرفض، ومع مسار التجربة تشرف الشخصية على أفق الانهيار، في ظل فضاء مغلق، وبالرغم من أن الأمكنة متصل بعضها ببعض لكنها مقطوعة بسبب انقطاع الديمومة الزمنية عن سياقها، والشخصيات أيضا ضائعة ومقطوعة ومعزولة عن امتدادها الاجتماعي، كأنها في متاهة إنها عاجزة عن إقامة صلات تواصل، وان تمت فسرعان ما تنقطع .

خاتمة البحث

- هناك هروب من مكان إلى مكان آخر فيصير اللامكان. ومع ذلك فإن تحركات الشخصية انطلقت من فضاء المدينة، الذي برز كفضاء إقصاء وخوف في تحرك الشخصية، وهو أيضا مكان أمل ومعاناة في وضع صارت الحياة كلها سجنًا.
- بدأ إبراهيم سعدي كتابته باستقطاب فضاء المهجر وآلام القهر، وفي خضم عجز مطبق عن مجابهته هرب رومانسيا لفضاء القرية، لكنه وأمام ركام الحوادث طور التجربة في الفكر والممارسة، فأضحى الفضاء في ثلاثية فتاوى زمن الموت، بحثًا عن آمال الغبريني، بوح الرجل القادم من الظلام، نموذجًا للهروب السوداوي للإحساس بعدوانية الفضاء نحو فضاء آخر، لكنه لا يقل عدوانية عنه مما أدى إلى تشظي الفضاء في تلك الروايات وتجلّى هذا في إحساس الشخصية باللاجدوى مما أوصلها إلى حافة الانهيار .
- إن الشخصية في كل مرة تلقى الهزيمة بفشل في الحياة الفردية، وفشل في الحياة الأسرية وفشل في الحياة الاجتماعية، والنجاة تكمن في تعديل الرؤية والنظر في الحياة كلها، ولهذا لم تهزم في رواية بوح الرجل القادم من الظلام، و انتصرت على ذاتها وعلى الموت، لأنها تخلصت من عذابها في لحظة الضعف الإنساني، فاطمأنت لمصيرها ولم تفكر في طبيعة الخاتمة .
- مثلت أعمال إبراهيم سعدي ممارسة أدبية ناضجة بدأت بالبراءة، ثم خاضت التجربة فتخلصت من التمزق والإرباك ووصلت إلى الصفاء والنضج، بعد وعي قاصر ناقص، فلا بد من إحداث فطیعة مع الماضي وتصحيح مساره وبدون التفكير بعد ذلك في الخاتمة.